(فُزْتُ وَرَبِّ الكعبة)

ذكرى استشهاد
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وبعد:

فإننا في ذكرى استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نعيش تلك الفاجعة الأليمة التي نزلت بالمسلمين، وهَدَّتْ أركان الدين، وهَوَى بها جبل التقوى الأَشَمّ، وخَسِرَت الأمةُ مُعَلِّمها الربانيّ بعد نبيها صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي هذه الذكرى نريد أن نأتي بالنزر اليسير من مناقب أمير المؤمنين وخلاله الحميدة، ونتعرض لجوانب مشرقة من حياته، ونستفيد من ذلك دروساً عظيمة يحتاجها كل مؤمن ومؤمنة في رحلته الشاقة بين زلازل الفتن والأهواء، وطوفان المحن والابتلاء، ولم نقتصر على سرد أحداث قتله وذكر اسم قاتله وكيف قتله كما هو السائد؛ لمعرفة أكثر الناس بذلك.

نعم، سيجد المؤمن في حياة أمير المؤمنين عليه السلام مثلاً أعلى للتضحية والتفاني، والإيثار والصبر وكظم الغيظ، وترويض النفس وكَبْحِ جماحها، سيجدُ فيه مثلاً أعلى لما ينبغي أن يكون عليه مَنْ بلغ درجات الشرف والرفعة، سيجد فيه التجسيد الحقيقي للإسلام وتعاليمه، سيرى الإنسانُ أنه يمكن تطبيق آيات القرآن الكريم في شتى نواحي الحياة، سيجد فيه الإنسان تابعاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم اتِّباع الفَصِيلِ لأمه، نجدُه يلتزم أوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويطبقها حرفياً، لم نجده اعترض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أي موقف من مواقفه.

سنجد فيه عليه السلام المثل الأعلى للغني والفقير، للكبير والصغير، للقوي والضعيف، للشريف والوضيع، للقريب والبعيد، للأمير والمأمور، للقائد والجندي.

إذاً لماذا كان عليٌّ عليه السلام مثلاً رائعاً في كل هذا؟؟ لأنه بحقٍّ وصدقٍ تربيةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهل يا تُرى يستطيع محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم أن يربي أمةً إسلامية ويفشل في تربية فرد في بيته؟!! وهل يعقل أن يُخرِج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ أولئك الغلاظ الجفاة عُبّاد الأصنام رجالاً موحدين رحماء سمحاء في فترات بسيطة يلتقي بهم فيها فيصوغهم بهذه الصياغة- ويفشل في تهذيب من ربَّاه في حجره صغيراً، وأسلم على يديه شاباً مراهقاً، وزَوَّجه ابنته، وجعل له بيتاً بين أبياته، ورافقه في جميع حياته حتى قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم؟؟!!

الكل يعلم أن هذا من البعيد أن يكون؛ فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحمة مهداة للعالمين فكيف بالأقربين؟! كلامه بركة، دعاؤه بركة، لمسه بركة، الاقتراب منه بركة، أفلا يكون عليٌّ عليه السلام مباركاً ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يمضغ اللقمةَ في فِيْهِ ثم يُلْقِمُه إياها؟! أفلا يكون عليٌّ مباركاً ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو له صغيراً وكبيراً؟! لهذا وغيره كان علي عليه السلام هو النموذج الحقيقي لتربية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناجحة الفريدة.

ونحن في هذه الوقفة لا نستطيع أن نأتي مما يستحقه أمير المؤمنين عليه السلام إلا كمن يأتي بقطرة من بحر، أو حصاة من جبل شامخ.

وسنقسمها إلى قسمين: القسم الأول يتعلق بمواضيع من

حياته وأخلاقه وسيرته وشمائله، والقسم الثاني يحتوي على ذكر استشهاده وما يتعلق به، ونختصر هذه المواضيع في نقاطٍ ليصل إليها من أراد الاستفادة منها، وليختار من أراد المشاركة حسب ما يسمح له وقته؛ حتى لا يكون في سردها كلها مللاً، ولا في تركها كلها خللاً.

ولن نأتي إلا بما هو موجود عند الشيعة والسنة، بل سنعتمد في أغلب النقل على مصادر أهل السنة؛ ليكون دليلاً لمن أراد سواء السبيل، وقائداً لمن لم يُعْمِه التعصبُ والْمَيل، ونسأل الله أن يجعله عملاً متقبلاً لديه، وهديةً واصلاً ثوابها إلى روح نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وروح أمير المؤمنين عليه السلام، وصلى الله على سيدنا محمد الأمين وآله الكرام الميامين وسلم تسليماً كثيراً.

القسم الأول:

إسلامه ونصرته وشجاعته

كان سلام الله عليه أول من أسلم وصلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد خديجة، وذلك لأنه تربى في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد أخذه صلى الله عليه وآله وسلم من أبيه أبي طالب وهو صغير ومكث عنده إلى مبعثه، فلما بعث صلى الله عليه وآله وسلم كان عليٌّ قد راهق الحلم حسب أثبت الروايات، ويدل على ذلك أخبار عَرْض النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإسلام عليه، فأسلم ثاني يوم من البعثة، وقد ذكر هذا في **الاستيعاب وغيره، فمما قال فيه**: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «لِعَلِيٍّ أَرْبَعُ خِصَالٍ لَيْسَتْ لأَحَدٍ غَيْرُهُ: هُوَ أَوَّلُ عَرَبِيٍّ وَعَجَمِيٍّ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَهُوَ الَّذِي كَانَ لِوَاؤُهُ مَعَهُ فِي كُلِّ زَحْفٍ، وَهُوَ الَّذِي صَبَرَ مَعَهُ يَوْمَ فَرَّ عَنْهُ غَيْرُهُ، وَهُوَ الَّذِي غَسَّلَهُ وَأَدْخَلَهُ قَبْرَهُ».

وفيه: وَقَالَ ابْن إِسْحَاق: «أول من آمن باللَّه وبرسوله محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم من الرجال علي بْن أَبِي طالب».

وفيه: وروي عَنْ سلمان أَنَّهُ قَالَ: «أول هَذِهِ الأمة وروداً على نبيها عَلَيْهِ الصلاة والسلام الحوض، أولها إسلاماً- علي بن أبي طالب عليه السلام».
وروي هذا عن سلمان مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وأورد روايات تذكر أن عُمْرَ علي عليه السلام عند إسلامه كان خمس عشرة سنة، وبعضها: ست عشرة سنة، وثلاث عشرة سنة ورجَّحَها، وقيل: عشر، وقيل: ثمان، وقيل: ثماني عشرة.

وفيه: روى مُسْلِم الملائي، عَنْ أنس بْن مَالِك، قَالَ: «استُنْبِئ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وسلم يَوْم الاثنين وصلى عليٌّ يَوْم الثلاثاء».اهـ

إذاً فعلي عليه السلام هو ذو السابقة إلى الإسلام والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وصاحب المواقف المشهورة التي بلغت حد التواتر في قمع الكفار والمعاندين لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، **ومن ذلك ما أورده في تهذيب التهذيب في قوله**: قال ابن عبد البر : وقد أجمعوا أنه أول من صلى القبلتين وهاجر، وشهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد، وأنه أبلى ببدر وأحد والخندق وخيبر البلاء العظيم، وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده في مواطن كثيرة، ولم يتخلف إلا في تبوك خَلَّفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة وقال له: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)).

وقال ابن سعد في الطبقات: في رواية يقول السائل فيها لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: مَنْ كَانَ صَاحِبُ رَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم؟ قَالَ: إِنَّكَ لَرِخْوُ اللَّبَبِ، فَقَالَ لِي مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ: أَنَا أُخْبِرُكَ، كَانَ يَحْمِلُهَا فِي الْمَسِيرِ ابْنُ مَيْسَرَةَ الْعَبْسِيُّ، فَإِذَا كَانَ الْقِتَالُ أَخَذَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام.

وفيه: ((أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي)) قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وَكَانَ عَلِيٌّ مِمَّنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ انْهَزَمَ النَّاسُ وَبَايَعَهُ عَلَى الْمَوْتِ، وَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم سَرِيَّةً إِلَى بَنِي سَعْدٍ بِفَدَكَ فِي مِائَةِ رَجُلٍ، وَكَانَ مَعَهُ إِحْدَى رَايَاتِ الْمُهَاجِرِينَ الثَّلَاثِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَبَعَثَهُ سَرِيَّةً إِلَى الْفُلُسِ إِلَى طَيِّئٍ، وَبَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا غَزْوَةَ تَبُوكَ خَلَّفَهُ فِي أَهْلِهِ، فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: مَا مَنَعَهُ أَنْ يَخْرُجَ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ كَرِهَ صُحْبَتَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ: ((أَيَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَنْزِلَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى)).

وفي المغازي للواقدي عند ذكر قتلى المشركين في بدر، فعد من

قتلهم علي عليه السلام: حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَالْعَاصُ بْنُ سَعِيدٍ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَعَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَالْحَارِثُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَعَقِيلُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ قَتَلَهُ حمزة وعلي وقيل: عليٌّ وحده، وَنَوْفَلُ بن خويلد بن أَسَدٍ، والنّضْرُ بن الحارث بن كلدة قتله صبراً، وزيد بن مُلَيْصٍ مَوْلَى عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مناف، وعُمَيْرُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كعب، وَيَزِيدُ بْنُ تَمِيمِ التّمِيمِيّ حَلِيفٌ لَهُمْ، وَحَرْمَلَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَبِي عُتْبَةَ، وأَبُو قَيْسِ بْنُ الْوَلِيدِ، ومَسْعُودُ بْنُ أَبِي أُمَيّةَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رِفَاعَةَ، وحَاجِزُ بْنُ السّائِبِ بْنِ عُوَيْمِرٍ، وَأَوْسُ بْنُ الْمِعْيَرِ بْنِ لُوذَانَ قَتَلَهُ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ وَعَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَمُنَبّهُ بْنُ الْحَجّاجِ، قَتَلَهُ أَبُو الْيَسَرِ وَيُقَالُ: عَلِيّ، وَنُبَيْهُ بن الحجّاج، وَالْعَاصُ بْنُ مُنَبّهٍ، وَأَبُو الْعَاصِ بْنُ قَيْسِ بْنِ عَدِيّ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ، قَتَلَهُ أَبُو دُجَانَةَ وَحَدّثَنِي أَبُو مَعْشَرٍ، عَنْ أَصْحَابِهِ، قَالُوا: قَتَلَهُ عَلِيّ عليه السلام.

ثم قال بعد ذلك: فجميع من يحصى قتلُه [من المشركين] تِسْعَةٌ وَأَرْبَعُونَ رَجُلًا. مِنْهُمْ مَنْ قَتَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيّ عليه السلام وَشَرِكَ فِي قَتْلِهِ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ رَجُلًا.

وهذا رصيد عظيم في أول معركة قمعت قرن الكفر، ووطأت للمسلمين، فبعد أن كان هو وحمزة وعبيدة بن الحارث أول من برز للقتال في هذا اليوم ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**﴾ [الحج:١٩]، تصدى لفتيانهم وشجعانهم فقتلهم شر قتلة، حتى كان ما يقارب نصف قتلى هذه المعركة على يديه.

وذكر أن ممن قتله في غزوة أحد: طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ حامل لواء المشركين، وَأَرْطَاةُ بْنُ عَبْدِ شُرَحْبِيلَ، وأَبُو الْحَكَمِ بْنُ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ،

وَأُمَيَّةُ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وغيرهم.

وأما في الخندق: فقصته مع عمرو بن عبد ود مشهورة ولم يقاتل في هذه الغزوة إلا هو عليه السلام؛ لأنه لم يقتحم الخندق إلا عمرو بن عبد ود واثنان معه فقتل عمرو بن عبد ود، فلما قتله ارتجفت لقتله قلوب المشركين ثم أرسل الله عليهم الريح وهربوا وهزموا شر هزيمة. وقد روي أن علي عليه السلام قتل الثاني أيضاً، وفر الثالث.

وأما عن خيبر: فحدث ولا حرج، فهو صاحب وسام الفخر فيها، فبعد أن أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اليوم الأول أبا بكر وفي اليوم الثاني عمر بن الخطاب وفي كل يوم يعود كل واحد منهما يُجَبِّن أصحابه ويجبنونه- قال صلى الله عليه وآله وسلم : ((لأعطين الراية غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبه اللهُ ورسولُه، كرار غير فرار، يفتح الله على يديه))، وكان علي عليه السلام أرمد، فتطاول لها الناس، فدعا به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتفل في عينيه وأعطاه الراية فمضى مسرعاً، فما تتام الجيش حتى فتح الله على يديه.

قال الواقدي في رواية له عَن بُرَيْدَة الْأَسْلَمِيّ قَالَ : لما كَانَ حَيْثُ نزل رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم بِحَضْرَة أهل خَيْبَر أعْطى صلى الله عليه وآله وسلم اللِّوَاء عمر فَنَهَضَ مَعَه من نَهَضَ من النَّاس فَلَقوا أهل خَيْبَر فانكشف عمر وَأَصْحَابه، فَرَجَعُوا إِلَى رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لَأُعْطيَن اللِّوَاء رجلاً يحب الله وَرَسُوله وَيُحِبهُ الله وَرَسُوله)) فَلَمَّا كَانَ من الْغَد تصادر أَبُو بكر وَعمر فَدَعَا علياً وَهُوَ أرمد فتفل فِي عَيْنَيْهِ ونهض مَعَه من النَّاس من نَهَضَ فلقي أهل خَيْبَر فَإِذا مرحب يرتجز وَهُوَ يَقُول:

قـد عَلِمَـتْ خَيْـبَرُ أَنِّي مَرْحَـبُ   شَـاكِ السِّـلَاحِ بَطَـلٌ مُجَـربُ
أَطْعَـنُ أَحْيَانًـا وحينـاً أَضْربُ   إِذا الليـوثُ أَقبلـت تَلَهَّـبُ

فأختلف هُوَ وَعلي ضربتين فَضَربهُ عَليّ على هامته حَتَّى عض السَّيْف مِنْهَا أَبيض رَأسه، وَسمع أهل الْعَسْكَر صَوت ضَربته، فَمَا تتام آخر النَّاس مَعَ عَليّ حَتَّى فتح الله لَهُ وَلَهُم.اهـ

فأي بلاء كبلائه عليه السلام، وأي عناء كعنائه، وأي فضلٍ كفضله عليه السلام؟؟

فضائله وعلمه

وأما فضائله فهي أكثر من أن تحصر، فقد وردت فيه أحاديث صحيحة حتى قال في **الاستيعاب ما لفظه**: قال أَحْمَد بْن حَنْبَل وَإِسْمَاعِيل بْن إِسْحَاق القاضي: «لم يُرْوَ فِي فضائل أحدٍ من الصحابة بالأسانيد الحِسَان مَا روي فِي فضائل علي بْن أَبِي طالب».اهـ وسنذكر نبذة منها:

فمن كتاب الخصائص للنسائي ما يلي:

١- عَن عَائِشَة بنت سعد قَالَت سَمِعت أبي يَقُول سَمِعت رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَوْم الْجحْفَة وَأخذ بيد عَليّ فَخَطب فَحَمدَ الله وَأثْنى عَلَيْهِ ثمَّ قَالَ: ((يَا أَيهَا النَّاس إِنِّي وَلِيكُم)) قَالُوا : صدقت يَا رَسُول الله، ثمَّ أَخذ بيد عَليّ فَرَفعهَا وَقَالَ: ((هَذَا وليي، والمؤدي عني، وَإِن الله موَالٍ لمن وَالَاهُ ومعاد من عَادَاهُ)).

٢- عَن أنس بن مَالك أَن النَّبِي صلى الله عليه وآله وسلم كَانَ عِنْده طَائِر فَقَالَ : ((اللَّهُمَّ ائْتِنِي بِأحب خلقك إِلَيْك يَأْكُل معي من هَذَا الطير)) فجَاء أَبُو بكر فَردَّه، وَجَاء عمر فَردَّه، وَجَاء عَليّ فَأذن لَهُ.

٣- عَن عَامر بن سعد بن أبي وَقاص عَن أَبِيه قَالَ أَمر مُعَاوِيَة سَعْداً فَقَالَ: مَا مَنعك أَن تسب أَبَا تُرَاب؟ قَالَ: أما مَا ذكرت ثَلَاثًا قالهن لَهُ رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم فَلَنْ أسبه لئن تكون لي وَاحِدَة مِنْهُنَّ أحب إِلَيّ

من حمر النعم: سَمِعت رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَقُول لَهُ وَقد خَلَّفه فِي بعض مغازيه فَقَالَ لَهُ عَليّ: يَا رَسُول الله تخلفني مَعَ النِّسَاء وَالصبيان؟ فَقَالَ لَهُ رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أما ترْضى أَن تكون مني بِمَنْزِلَة هَارُون من مُوسَى إِلَّا أَنه لانبوة بعدِي))، وسمعته يَقُول فِي يَوْم خَيْبَر: ((لَأُعْطيَن الرَّايَة رجلاً يحب الله وَرَسُوله وَيُحِبهُ اللهُ وَرَسُولُه)) فتطاولنا لَهَا فَقَالَ : ((ادْعُوا لي علياً)) فَأتي بِهِ أرمد، فبصق فِي عَيْنَيْهِ وَدفع الرَّايَة إِلَيْهِ، وَلما نزلت ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾ دَعَا رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا وَفَاطِمَة وحسنا وَحسَيْنا فَقَالَ: ((اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهلِي)).

٤- عَن زيد بن أَرقم قَالَ: كَانَ لنفر من أَصْحَاب رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم أَبْوَاب شارعة فِي الْمَسْجِد فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((سدوا هَذِه الْأَبْوَاب إِلَّا بَاب عَليّ)) فتكلم فِي ذَلِك أنَاس، فَقَامَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم فَحَمدَ الله وَأثْنى عَلَيْهِ ثمَّ قَالَ : ((أما بعد فَإِنِّي أَمَرْتُ بسد هَذِه الْأَبْوَاب غير بَاب عَليّ فَقَالَ فِيهِ قائلكم، وَالله مَا سددته وَلَا فَتحته، وَلَكِنِّي أُمِرْتُ بِشَيْء فاتبعتُه)).

٥- عَن عمرَان بن حُصَيْن قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إِن علياً مني وَأَنا مِنْهُ، وَهُوَ لي كل مُؤمن)).

٦- عَن أبي إِسْحَاق عَن حبشِي بن جُنَادَة السَّلُولي قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((عَليّ مني وَأَنا مِنْهُ، وَلَا يُؤَدِّي عني إِلَّا أَنا أَو علي)).

٧- عَن أبي عبد الله الجدلي قَالَ: دخلت على أم سَلمَة فَقَالَت: أَيُسَبُّ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فِيكُم؟ فَقلتُ: سُبْحَانَ الله أَو معَاذ الله!! قَالَت: سَمِعت رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يَقُول : ((مَنْ سبّ علياً فقد سَبَّنِي)).

٨- عَن أبي الطُّفَيْل عَامر بن وَاثِلَة قَالَ جمع عَليٌّ النَّاسَ فِي الرحبة فَقَالَ: أنْشد بِاللَّه كل امرئ سمع رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقُول يَوْم غَدِير خم مَا سمع؛ فَقَامَ أنَاس فَشَهِدُوا أَن رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يَوْم غَدِير خم: ((ألستم تعلمُونَ أَنِّي أولى بِالْمُؤْمِنِينَ من أنفسهم؟)) وَهُوَ قَائِم ثمَّ أَخذ بيد عَليّ فَقَالَ: ((من كنت مَوْلَاهُ فعلي مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَال من وَالَاهُ، وَعَاد من عَادَاهُ))، قَالَ أَبُو الطُّفَيْل فَخرجت وَفِي نَفسِي مِنْهُ شَيْء فَلَقِيت زيد بن أَرقم فَأَخْبَرته، فَقَالَ: ومَا تنكر؟! أَنا سمعتُه من رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٩- عَن سعيد بن وهب قَالَ: قَالَ عَليّ فِي الرحبة: أنْشد بِاللَّه من سمع رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَوْم غَدِير خم يَقُول : ((الله وليي وَأَنا ولي الْمُؤمنِينَ، وَمن كنت وليه فَهَذَا وليه، اللَّهُمَّ وَال من وَالَاهُ، وَعَاد من عَادَاهُ، وانصر من نَصره))، فَقَالَ سعيد: قَامَ إِلَى جَنْبي سِتَّة، وَقَالَ حَارِثَة بن مضرب: قَامَ عِنْدِي سِتَّة، وَقَالَ زيد بن يثيع: قَامَ عِنْدِي ستة.

١٠-عَن عبد الله بن نجي قَالَ: قَالَ عَليّ كَانَت لي سَاعَة من السحر أدخل فِيهَا على رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فان كَانَ فِي صلَاته سبّح فَكَانَ ذَلِك إذنه لي، وَإِن لم يكن فِي صلَاته أذن لي.

١١-عَن عبد الله بن عَمْرو بن هِنْد الْجملِي قَالَ قَالَ عَليّ: كنت إِذا سَأَلتُ رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم أَعْطَانِي، وَإِذا سكت ابتدأني.اهـ

وهذا يدل على أنه كان يؤهله لحمل التعاليم الإسلامية حتى لا يضيع منها صغير ولا كبير، وقد قام علي عليه السلام بهذه المهمة خير قيام، فلولا علومه وأحكامه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لضاع من الدين أكثره. **قال في**

تهذيب التهذيب: بعثه صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن وهو شاب [أي علياً عليه السلام] ليقضي بينهم فقال: يا رسول الله لا أدري القضاء؟ فضرب في صدره وقال: ((اللهم اهد قلبه وسدد لسانه)) قال علي: فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين.

وروي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها)).

وقال عمر: علي أقضانا، وأبي أقرأنا. وقال يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب كان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن.

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: كنا إذا أتانا الثبت عن علي لم نعدل به.

وقال معن عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل: شهدت علياً يخطب وهو يقول: (سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آيةٍ إلا وأنا أعلم أبليلٍ نزلت أم بنهارٍ، أم في سهلٍ أم في جبل).

وقال سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص: قلت لعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة: لم كان صفو الناس إلى علي بن أبي طالب؟ فقال: يابن أخي أن علياً كان له ما شئت من ضرسٍ قاطع في العلم، وكان له البسطة في العشيرة، والقدم في الإسلام، والظهر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والفقه في السنة، والنجدة في الحرب، والجود في الماعون.

وقال في الاستيعاب: عن عبد الملك ابن أَبِي سُلَيْمَانَ، قَالَ قُلْتُ لِعَطَاءٍ: أَكَانَ فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْ عَلِيٍّ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ.

وفيه: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أُعْطِيَ علي بن أَبِي طَالِبٍ

تِسْعَةَ أَعْشَارِ الْعِلْمِ، وَايْمُ اللَّهِ لَقَدْ شَارَكَكُمْ فِي الْعُشْرِ الْعَاشِرِ.

وفيه: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ أَقْضَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

وفيه: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَعْلَمُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِالْفَرَائِضِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

وفيه: عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: مَا كُنَّا نَعْرِفُ الْمُنَافِقِينَ إِلا بِبُغْضِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام.

وفيه: عَنْ أَبِي قَيْسٍ الأَوْدِيِّ، قَالَ: أَدْرَكْتُ النَّاسَ وَهُمْ ثَلاثُ طَبَقَاتٍ: أَهْلُ دِينٍ يُحِبُّونَ عَلِيًّا، وَأَهْلُ دُنْيَا يُحِبُّونَ مُعَاوِيَةَ، وَخَوَارِجُ.

وقال الشَّعْبِيّ: مَا مات مسروق حتى تاب إلى الله عن تخلّفه عن القتال مع علي. ولهذه الأخبار طرق صحاح قد ذكرناها في موضعها.

وروي من حديث علي، ومن حديث ابْن مَسْعُود، ومن حديث أَبِي أَيُّوب الأَنْصَارِيّ أَنَّهُ أمر بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وروي عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (مَا وجدت إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله، يَعْنِي-والله أعلم- قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج:٧٨] وما كَانَ مثله.

وفيه عن ابن عمر أنه قَالَ: مَا آسَى عَلَى شَيْءٍ، إِلا عَلَى أَلا أَكُونَ قَاتَلْتُ الْفِئَةَ الْبَاغِيَةَ عَلَى صَوْمِ الْهَوَاجِرِ.

بعض صفاته وشيء من سيرته وعدله

قال في الاستيعاب: سئل الْحَسَن بْن أَبِي الْحَسَن الْبَصْرِيّ عَنْ علي بْن أَبِي طالب عليه السلام، فَقَالَ: كَانَ علي والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه، ورباني هَذِهِ الأمة، وذا فضلها، وذا سابقتها، وذا قرابتها من رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، لم يكن بالنومة عَنْ أمر الله، ولا بالملومة فِي دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآنَ عزائمه ففاز منه برياضٍ مونقة، ذَلِكَ

علي بْن أَبِي طالب عليه السلام يَا لكع.اهـ

وتعالوا معي لنسمع وصفه عليه السلام من أحد أتباعه وهو ضرار الصُّدَائي عندما سأله معاوية أن يصفه له وألَحَّ عليه، فقال: كَانَ وَاللَّهِ بَعِيدَ الْمَدَى، شَدِيدَ الْقُوَى، يَقُولُ فَصْلاً، ويَحْكُم عدلاً، يتفجّرُ العلم من جَوَانِبِهِ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وَكَانَ غزير الْعَبْرَة، طويل الفِكْرَة، يعجبه من اللِّبَاس مَا قَصُر، ومن الطعام مَا خَشُنْ، وكان فينا كأحدنا، يُجِيْبُنا إذا سألناه، ويُنْبِئُنا إذا استنبأناه، ونحن والله -مع تقريبه إيانا وقربه منا- لا نكاد نكلِّمهُ هيبا لَهُ، يعَظِّمُ أهلَ الدين، ويُقَرِّب المساكين، لا يطمعُ القويُّ فِي باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيتُه فِي بعض مواقفه وقد أرخى الليلُ سُدُوْلَهُ، وغَارَتْ نُجُومُه، قابضاً على لحيته، يتململ تَمَلْمُل السَّلِيم، ويبكي بُكاءَ الحزين، ويقول: (يَا دنيا غُرِّي غَيْرِي، أَلِيْ تَعَرَّضْتِ؟! أَمْ إِلَيَّ تشوّقت؟! هيهات هيهات! قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فَعُمْرُكِ قصير، وَخَطَرُكِ [أي: شرفك] قليل، آهٍ مِنْ قِلَّةِ الزادِ وبُعْدِ السَّفَرِ، وَوحشةِ الطريق).اهـ

فهو سلام الله عليه الذي طلق الدنيا وزهد فيها، ورأى تكالب الناس عليها فعزفت نفسه عنها؛ طمعاً فيما عند الله، وإيثاراً للدار الباقية على الدار الفانية، ذكر فِي الاستيعاب عن الْحَسَن بْن علي عليهما السلام من وجوهٍ أَنَّهُ قَالَ: (لم يترك أَبِي إلا ثمانمائة درهم أو سبعمائة فضلت من عطائه، كَانَ يُعِدّها لخادم يشتريها لأهله)، وأما تقشفه فِي لباسه ومطعمه فأشهر من هَذَا كله، وباللَّه التوفيق والعصمة ذكر ذلك بإسناد إلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْهُذَيْلِ، قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيًّا خَرَجَ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ غَلِيظٌ دَارِسٌ إِذَا مَدَّ كُمَّ

قَمِيصِهِ بَلَغَ إِلَىٰ الظّفرِ، وَإِذَا أَرْسَلَهُ صَارَ إِلَىٰ نِصْفِ السَّاعِدِ.

وفيه: بإسناد إلىٰ أبحر بْنُ جُرْمُوزٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَخْرُجُ مِنَ الْكُوفَةِ وَعَلَيْهِ قِطْرِيَّتَانِ مُتَّزِرًا بِالْوَاحِدَةِ مُتَرَدِّيًا بِالأُخْرَىٰ، وَإِزَارُهُ إِلَىٰ نِصْفِ السَّاقِ، وَهُوَ يَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ، وَمَعَهُ دُرَّةٌ، يَأْمُرُهُمْ بِتَقْوَىٰ اللَّهِ وَصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَحُسْنِ الْبَيْعِ، وَالْوَفَاءِ بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ.

وفيه: عن مجمع التيمي: أَنّ عَلِيًّا قَسَّمَ مَا فِي بَيْتِ الْمَالِ بين المسلمين، ثم أمر به فكنس ثم صَلَّىٰ فِيهِ ركعتين، رَجَاءَ أَنْ يَشْهَدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وفيه: عَاصِمُ بْنُ كُلَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَدِمَ عَلَىٰ عَلِيٍّ مَالٌ مِنْ أَصْبَهَانَ، فَقَسَّمَهُ سَبْعَةَ أَسْبَاعٍ، وَوَجَدَ فِيهِ رَغِيفًا، فَقَسَّمَهُ سَبْعَ كِسَرٍ، فَجَعَلَ عَلَىٰ كُلِّ جُزْءٍ كِسْرَةً، ثُمَّ أَقْرَعَ بَيْنَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطِىٰ أَوَّلاً. وأخباره فِي مثل هَذَا من سيرته لا يحيط بها كتاب.

وفيه بإسناد قال: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ الضَّحَّاكُ بن مخلد ومعاذ بن العلاء [أخو عَمْرِو بْنِ الْعَلاء] عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَقُولُ: (مَا أَصَبْتُ مِنْ فَيْئِكُمْ إِلا هَذِهِ الْقَارُورَةَ، أَهْدَاهَا إِلَيَّ الدِّهْقَانُ)، ثُمَّ نزل إِلَىٰ بيت المال، ففرق كل مَا فيه.

وفيه: عَنْ عَنْتَرَةَ الشَّيْبَانِيِّ، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ يَأْخُذُ فِي الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ كُلِّ صِنَاعَةٍ مِنْ صِنَاعَتِهِ وعمل يَدِهِ حَتَّىٰ يَأْخُذَ مِنْ أَهْلِ الإِبَرِ وَالْمَسَالِّ وَالْخُيُوطِ وَالْحِبَالِ، ثُمَّ يُقَسِّمُهُ بَيْنَ النَّاسِ، وَكَانَ لا يَدَعُ فِي بَيْتِ الْمَالِ مَالاً يَبِيتُ فِيهِ حَتَّىٰ يُقَسِّمَهُ، إِلا أَنْ يَغْلِبَهُ فِيهِ شُغْلٌ، فَيُصْبِحُ إِلَيْهِ وَكَانَ يَقُولُ: (يَا دنيا لا تغريني، غرّي غيري) وينشد:

هَـــذَا جَنَــايَ وَخِيَــارُهُ فِيــهِ وَكُـــلّ جَـــانٍ يَـــدُهُ إِلَىٰ فِيـــهِ

وَذَكَرَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنِ الثَّوْرِيِّ، عن أبى حَيَّانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: (مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي سَيْفِي هَذَا؟ فَلَوْ كَانَ عِنْدِي ثَمَنُ إِزَارٍ مَا بِعْتُهُ)، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: نُسَلِّفُكَ ثَمَنَ إِزَارٍ. قال عَبْد الرَّزَّاقِ: وكانت بيده الدنيا كلها إلا مَا كَانَ من الشام.

وَذَكَرَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ يُثَيْعٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: ((إِنْ وَلَّوْا عَلِيًّا فَهَادِيًا مَهْدِيًّا)).

وذكر فيه أنه لم يكن يستأثر من الفيء بشيء، ولا يخص بِهِ حميماً، ولا قريباً، ولا يخص بالولايات إلا أهلَ الديانات والأمانات، وإذا بلغه عَنْ أحدهم خيانةٌ كتب إِلَيْهِ: (قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ من رَبِّكُمْ، فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزانَ بالقسط، وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ، وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ، بَقِيَّتُ الله خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ(١)، إذا أتاك كتابي هَذَا فاحتفظ بما فِي يديك من أعمالنا حَتَّى نبعث إليك من يتسلمه منك)، ثُمَّ يرفع طَرْفَه إِلَى السماء فيقول: (اللَّهمّ إنك تعلم أنِّي لم آمرهم بِظُلْمِ خلقك، ولا بِتَرْكِ حقك). وخُطَبُه ومواعظه ووصاياه لِعُمَّاله إذ كَانَ يخرجهم إِلَى أعماله كثيرةٌ مشهورة.اهـ

ومن مظاهر عدله سلام الله عليه ما أورده ابن سعد في الطبقات في كلام ساقه فيه حتى قال: سَمِعْتُ فَرُّوخَ -مَوْلًى لِبَنِي الْأَشْتَرِ- قَالَ: رَأَيْتُ

---

(١)- هذا مجموع من آيتين ولعلها من سهو النساخ، ﴿أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ٨٥ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ٨٦﴾ [هود]، والثانية: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف:٨٥].

عَلِيًّا فِي بَنِي دَيْوَارٍ وَأَنَا غُلَامٌ فَقَالَ: أَتَعْرِفُنِي؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، أَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ أَتَى آخَرَ فَقَالَ: أَتَعْرِفُنِي؟ فَقَالَ: لَا، فَاشْتَرَى مِنْهُ قَمِيصًا زَابِيًّا فَلَبِسَهُ، فَمَدَّ كُمَّ الْقَمِيصِ فَإِذَا هُوَ مَعَ أَصَابِعِهِ، فَقَالَ لَهُ: كُفَّهُ، فَلَمَّا كَفَّهُ قَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ).اهـ

أي عدلٍ هذا؟! وأي ورعٍ؟! وأي تواضع؟! لم يشترِ ثوباً من الغلام الذي يعرفه حتى لا ينقص له في سعره لمعرفته به، بل اشترى ممن يجهله حتى لا يكون في ذلك أي محاباة ولا مجاملة ولا حياء.

ومن ذلك ما ذكره في الكامل في التاريخ بإسناد أورده حتى قال: قال هَارُونُ بْنُ عَنْتَرَةَ عَنْ أَبِيهِ: دَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ بِالْخَوَرْنَقِ -وَهُوَ فَصْلُ شِتَاءٍ- وَعَلَيْهِ خَلَقُ قَطِيفَةٍ، وَهُوَ يُرْعَدُ فِيهِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لَكَ وَلِأَهْلِكَ فِي هَذَا الْمَالِ نَصِيبًا وَأَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا بِنَفْسِكَ؟ فَقَالَ: (وَاللَّهِ مَا أَرْزَأُكُمْ شَيْئًا، وَمَا هِيَ إِلَّا قَطِيفَتِي الَّتِي أَخْرَجْتُهَا مِنَ الْمَدِينَةِ).

وفيه: قَالَ يَحْيَى بْنُ سَلَمَةَ: اسْتَعْمَلَ عَلِيٌّ عَمْرَو بْنَ سَلَمَةَ عَلَى أَصْبَهَانَ، فَقَدِمَ وَمَعَهُ مَالٌ وَزِقَاقٌ فِيهَا عَسَلٌ وَسَمْنٌ، فَأَرْسَلَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عَلِيٍّ إِلَى عَمْرٍو تَطْلُبُ مِنْهُ سَمْنًا وَعَسَلًا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا ظَرْفَ عَسَلٍ وَظَرْفَ سَمْنٍ. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ خَرَجَ عَلِيٌّ وَأَحْضَرَ الْمَالَ وَالْعَسَلَ وَالسَّمْنَ لِيُقْسَمَ، فَعَدَّ الزِّقَاقَ فَنَقَصَتْ زِقَّيْنِ، فَسَأَلَهُ عَنْهُمَا، فَكَتَمَهُ وَقَالَ: نَحْنُ نُحْضِرُهَا، فَعَزَمَ عَلَيْهِ إِلَّا ذَكَرَهَا لَهُ، فَأَخْبَرَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَى أُمِّ كُلْثُومٍ فَأَخَذَ الزِّقَّيْنِ مِنْهَا، فَرَآهُمَا قَدْ نَقَصَا، فَأَمَرَ التُّجَّارَ بِتَقْوِيمِ مَا نَقَصَ مِنْهُمَا، فَكَانَ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأَخَذَهَا مِنْهَا، ثُمَّ قَسَّمَ الْجَمِيعَ.

وفيه: قَالَ سُفْيَانُ: إِنَّ عَلِيًّا لَمْ يَبْنِ آجُرَّةً عَلَى آجُرَّةٍ، وَلَا لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ،

وَلَا قَصَبَةً عَلَىٰ قَصَبَةٍ، وَإِنْ كَانَ لَيُؤْتَىٰ بِحُبُوبِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي جِرَابٍ.

وفيه أيضاً: وَقِيلَ: إِنَّهُ أَخْرَجَ سَيْفًا لَهُ إِلَىٰ السُّوقِ فَبَاعَهُ وَقَالَ: لَوْ كَانَ عِنْدِي أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ ثَمَنُ إِزَارٍ لَمْ أَبِعْهُ. وَكَانَ لَا يَشْتَرِي مِمَّنْ يَعْرِفُهُ، وَإِذَا اشْتَرَىٰ قَمِيصًا قَدَّرَ كُمَّهُ عَلَىٰ طُولِ يَدِهِ وَقَطَعَ الْبَاقِي، وَكَانَ يَخْتِمُ عَلَىٰ الْجِرَابِ الَّذِي فِيهِ دَقِيقُ الشَّعِيرِ الَّذِي يَأْكُلُ مِنْهُ وَيَقُولُ: (لَا أُحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنِي إِلَّا مَا أَعْلَمُ).

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: وَجَدَ عَلِيٌّ دِرْعًا لَهُ عِنْدَ نَصْرَانِيٍّ، فَأَقْبَلَ بِهِ إِلَىٰ شُرَيْحٍ وَجَلَسَ إِلَىٰ جَانِبِهِ وَقَالَ: لَوْ كَانَ خَصْمِي مُسْلِمًا لَسَاوَيْتُهُ، وَقَالَ: هَذِهِ دِرْعِي! فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ: مَا هِيَ إِلَّا دِرْعِي، وَلَمْ يَكْذِبْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ شُرَيْحٌ لِعَلِيٍّ: أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟ قَالَ: لَا -وَهُوَ يَضْحَكُ- فَأَخَذَ النَّصْرَانِيُّ الدِّرْعَ وَمَشَىٰ يَسِيرًا، ثُمَّ عَادَ وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ هَذِهِ أَحْكَامُ الْأَنْبِيَاءِ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدَّمَنِي إِلَىٰ قَاضِيهِ، وَقَاضِيهِ يَقْضِي عَلَيْهِ. ثُمَّ أَسْلَمَ وَاعْتَرَفَ أَنَّ الدِّرْعَ سَقَطَتْ مِنْ عَلِيٍّ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَىٰ صِفِّينَ، فَفَرِحَ عَلِيٌّ بِإِسْلَامِهِ وَوَهَبَ لَهُ الدِّرْعَ وَفَرَسًا، وَشَهِدَ مَعَهُ قِتَالَ الْخَوَارِجِ.

وَقِيلَ: إِنَّ عَلِيًّا رُؤِيَ وَهُوَ يَحْمِلُ فِي مِلْحَفَتِهِ تَمْرًا قَدِ اشْتَرَاهُ بِدِرْهَمٍ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا نَحْمِلُهُ عَنْكَ؟ فَقَالَ: أَبُو الْعِيَالِ أَحَقُّ بِحَمْلِهِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ: تَذَاكَرُوا الزُّهَّادَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَزْهَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

ومن ذلك ما أورده في تاريخ الطبري: في إسناد إلى ابْنِ أَبِي رَافِعٍ، أَنَّهُ كان خازناً لعلي عليه السلام عَلَىٰ بَيْتِ الْمَالِ، قَالَ: فَدَخَلَ [أي علي عليه السلام] يَوْمًا وَقَدْ زُيِّنَتِ ابْنَتُهُ، فَرَأَىٰ عَلَيْهَا لُؤْلُؤَةً مِنْ بَيْتِ الْمَالِ قَدْ كَانَ عَرَفَهَا، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَهَا هَذِهِ؟ لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ أَقْطَعَ يَدَهَا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُ جِدَّهُ فِي

ذَلِكَ قُلْتُ: أَنَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ زَيَّنْتُ بِهَا ابْنَةَ أَخِي، وَمِنْ أَيْنَ كَانَتْ تَقْدِرُ عَلَيْهَا لَوْ لَمْ أَعْطِهَا؟! فَسَكَتَ.

القسم الثاني
في ذكر استشهاده سلام الله ورحمته عليه ورضوانه

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، الحمد لله الذي بنى هذه الدار على التكليف والاختيار، والصلاة والسلام على من أنقذنا من ظلمات الوثنية وجهالات الجاهلية، صلوات الله عليه وعلى أخيه ووصيه، مَنْ جعله بمنزلة نفسه إلا النبوة، وعلى أهل بيته الأخيار قرناء القرآن، والموصى بهم معه للنجاة من النيران، **وبعد**:

فإننا إذ نقف على هذه الفاجعة الأليمة، ونعيش لحظات هذه الذكرى الحزينة لا يسعنا إلا أن نقول: عظم الله أجوركم أيها المؤمنون جميعاً، وبهذا سننال إن شاء الله المشاركة في أجور من نزلت بهم الفاجعة حتى كأننا في عصرهم خُلِقْنَا؛ فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام مجيباً على من قال له من أصحابه: وددتُ أن أخي فلاناً كان شاهِدَنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك، فقال علي عليه السلام: (أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟) قال: نَعَم، قالَ: (فَقَدْ شَهِدَنَا، وَلَقَدْ شَهِدَنَا في عَسْكَرِنَا هذَا أَقْوَامٌ في أَصْلاَبِ الرِّجَالِ، وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرْعُفُ بِهِمُ الزَّمَانُ، ويَقْوَى بِهِمُ الإيمَانُ). نسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم.

أيها الإخوة المؤمنون، لَمَّا كان الإمام علي عليه السلام محباً للمؤمنين ومجانباً للفاسقين، وعادلاً في الرعية، قاسماً بالسوية؛ لذلك فقد كان أكثر الأمراء والأعيان لا يحبون هذه السيرة، فهم يريدون أن يُفَضِّلهم على أتباعهم، ويريدون أن يُشْبِعَهم ولو جاع أتباعُهم، ويكسُوهُم ولو عَرِي أتباعُهُم، ويُعْطِيهم ولو حَرَمَ أتباعهم؛ فلما لم يجدوا عنده هذا الشيء مالت بهم

الدنيا، فأناس تشبثوا بأماراتهم كمعاوية بن أبي سفيان، وأناس حاربوه لما لم يعطهم، وأناس تابعوه وأخفوا هذا الداء بين أضلعهم وحنايا صدورهم، وكانت فلتات ذلك تظهر على ألسنتهم بين الحين والآخر.

ولما كان علي عليه السلام لا يمكن أن يتعامل بغير أحكام الشريعة الإسلامية، فلا نراه يقتل من يشك في خيانته وإنما يتعامل معه بالظاهر، وقد رأينا من ذلك تعامله مع جرير بن عبدالله البجلي، ومع الأشعث بن قيس الكندي وغيرهما، فالإسلام قيد الفتك؛ لذلك لم يكن عدوُّه يخاف منه غدره وبطشه وانتقامه، ما دامت أعمالهم خفية ومكائدهم سرية؛ لذلك تسببت مكائد معاوية وعمرو بن العاص في تخلخل جيش الإمام علي عليه السلام من الداخل؛ إذ كان المرجفون والمنافقون يروجون لها، وانقسم جيشه وخرجت الخوارج، وأصبح له عدو بين أوساط أتباعه، يعرفون أخباره، ويطلعون على أسراره، حتى آل بهم الأمر إلى استغلال هذه الفرقة والانقسام إلى أن انتهى الأمر باغتياله سلام الله عليه.

ولَعَمْرُ الله إنَّ قَتْلَه في بيت الله -وإن أوهن عرى الإسلام- لشرفٌ عظيم يحق للإنسانية جمعاء أن تفتخر به وتردده على فروع المنابر، فأي شرف وأي فخر أعظم من هذا؟ وأي فتوة وشجاعة وعظمة أن يفر عنه عدوه في المعركة وهو لم يفر قط؟! وأنه لم يطلبه أحد المبارزة إلا لباه؟! وأن عدوه لم يستطيع النيل منه إلا في المكان الذي يَنْصَبّ اهتمامه على مناجاة ربه، ويخرج إحساسه عن مناجاة المخلوقين إلى مناجاة الخالق، هنا عرف عدوه أنها تسنح له الفرصة في اغتياله، وإلا فمجرد نظرة من هذا الأسد الهصور إلى خصمه تؤدي به إلى أن ترتجف أعصابه وتضطرب أركانه،

إذاً فقد حسب عدوه اللعين فَعْلَتَه الشنعاء بدقة، فأمير المؤمنين عليه السلام

سيناجي ربه وينشغل به عن الوجود حتى أنه -كما روي في بعض المرات- كان فيه سهم لم يستطع الصبر على إخراجه فقال عليه السلام: اتركوني حتى أصلي ثم أخرجوه، هذا أو معناه. وأيضاً هو أعزل عن السلاح، لا سيف معه، ولا درع، ولا ترس، ولا خوذة فوق رأسه، فلا فرصة أعظم من هذه الفرصة.

ومع هذا كله لم يكتف ابن ملجم لعنه الله بهذه الأمور، بل شحذ سيفه وأعده إعداداً جيداً، ثم قام بوضع السُّمِّ فيه، وسنورد بعض ما ذكره أهل الروايات والأخبار من بداية هذه الحادثة وتفاصيلها، والله المستعان وعليه التكلان:

فمن ذلك ما **أورده النسائي في خصائصه**: في رواية عن عمار بن ياسر أنه كان هو وعلي عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهما: ((ألا أحدثكما بِأَشْقَى النَّاس؟)) فَقُلْنَا : بلَى يَا رَسُول الله، قَالَ : ((أُحَيْمِر ثَمُود الَّذِي عقر النَّاقة، وَالَّذِي يَضْرِبك يَا عَلِيّ على هَذِه -وَوضع يَده على قرنه- حَتَّى يبل مِنْهَا هَذِه -وأخذ بلحيته-)).

وذكر في الاستيعاب سبب خروج الخوارج عليه وأنهم قالوا له: حكَّمْت الرجال فِي دين الله، والله تعالى يَقُول: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ثم اجتمعوا، وشقوا عصا المسلمين، ونصبوا راية الخلاف، وسفكوا الدماء، وقطعوا السبل، فخرج إليهم بمن معه، ورام مراجعتهم، فأبوا إلا القتال، فقاتلهم بالنهروان فقتلهم، واستأصل جمهورهم، ولم ينج إلا اليسير منهم، فانتدب لَهُ من بقاياهم عَبْد الرَّحْمَنِ بْن ملجم، قيل التجوبي، وقيل السكوني، وقيل الحميري، ولم يختلفوا أَنَّهُ حليف لمراد وعداده فيهم، وَكَانَ فاتكاً ملعوناً.

وفيه أيضاً: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ صُهَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لِعَلِيٍّ عليه السلام: ((مَنْ أَشْقَى الأَوَّلِينَ؟ قَالَ: الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ- يَعْنِي نَاقَةَ صَالِحٍ. قَالَ: صَدَقْتَ، فَمَنْ أَشْقَى الآخَرِينَ؟ قَالَ: لا أَدْرِي. قَالَ: الَّذِي يَضْرِبُكَ عَلَى هَذَا -يَعْنِي يَافُوخَهُ-، وَيُخَضِّبُ هَذِهِ -يَعْنِي لِحْيَتَهُ-)).

وفيه : عَنْ ثعلبة الحماني أَنَّهُ سمع على بن أبي طالب عليه السلام يقول: (وَالَّذِي فلق الحبة، وبرأ النسمة لتخضبن هَذِهِ -يَعْنِي لحيته-، من دم هَذَا -يَعْنِي رأسه-).

وَكَانَ قَتَادَة يَقُول: «قُتِل علي عليه السلام على غير مالٍ احتجبه، ولا دنيا أصابها».

وعَنْ عُبَيْدَةَ، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ عليه السلام إِذَا رَأَى ابْنَ مُلْجَمٍ قَالَ:

أريـــد حياتـــه ويريـــد قـــتلي عـذيرك مـن خليلـك مِـنْ مُـرَادِ

وكان علي عليه السلام كثيراً مَا يَقُول: (مَا يمنع أشقاها، أو مَا ينتظر أشقاها أن يخضب هَذِهِ من دم هذا)، يقول: والله ليخضبن هَذِهِ من دم هَذَا- ويشير إِلَى لحيته ورأسه- خضاب دم لا خضاب عطر ولا عبير.

وأُتِي علي عليه السلام فقيل لَهُ: إن ابْن ملجم يَسُمُّ سيفه، ويقول: إنه سيفتك بك فتكةً يتحدث بها العرب. فبعث إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: (لِـمَ تَسُمّ سيفك؟) قَالَ: لعدوي وعدوك. فخلَّى عَنْهُ، وَقَالَ: (مَا قَتَلَنِي بَعْدُ).

قال في طبقات ابن سعد: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلْجَمٍ الْكُوفَةَ فَلَقِيَ أَصْحَابَهُ مِنَ الْخَوَارِجِ فَكَاتَمَهُمْ مَا يُرِيدُ، وَكَانَ يَزُورُهُمْ وَيَزُورُونَهُ، فَزَارَ يَوْمًا نَفَرًا مِنْ تَيْمِ الرَّبَابِ، فَرَأَى امْرَأَةً مِنْهُمْ يُقَالُ لَهَا: قَطَامِ بِنْتُ شُجْنَةَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُهْلِ بْنِ تَيْمِ الرَّبَابِ، وَكَانَ عَلِيٌّ قَتَلَ أَبَاهَا وَأَخَاهَا يَوْمَ نَهْرَوَانَ، فَأَعْجَبَتْهُ فَخَطَبَهَا، فَقَالَتْ: لا أَتَزَوَّجُكَ

حَتَّى تُسَمِّيَ لِي، فَقَالَ: لَا تَسْأَلِينَنِي شَيْئًا إِلَّا أَعْطَيْتُكِ، فَقَالَتْ: ثَلَاثَةُ آلَافٍ، وَقَتْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِي إِلَى هَذَا الْمِصْرِ إِلَّا قَتْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ آتَيْتُكِ مَا سَأَلْتِ، وَلَقِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلْجَمٍ شَبِيبَ بْنَ بَجَرَةَ الْأَشْجَعِيَّ فَأَعْلَمَهُ مَا يُرِيدُ، وَدَعَاهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ مَعَهُ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَبَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلْجَمٍ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي عَزَمَ فِيهَا أَنْ يَقْتُلَ عَلِيًّا فِي صَبِيحَتِهَا يُنَاجِي الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ الْكِنْدِيَّ فِي المسجدِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ، فَقَالَ لَهُ الْأَشْعَثُ: فَضَحَكَ الصُّبْحُ فَقُمْ، فَقَامَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلْجَمٍ، وَشَبِيبُ بْنُ بَجَرَةَ فَأَخَذَا أَسْيَافَهُمَا.

وفيه: قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليهما السلام: وَأَتَيْتُهُ [أي: والده عليه السلام] سَحَرًا فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: (إِنِّي بِتُّ اللَّيْلَةَ أُوقِظُ أَهْلِي فَمَلَكَتْنِي عَيْنَايَ، وَأَنَا جَالِسٌ فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَاللَّدَدِ، فَقَالَ لِي: «ادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ»، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ أَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا لِي مِنْهُمْ، وَأَبْدِلْهُمْ شَرًّا لَهُمْ مِنِّي.

وقال في الكامل في اللغة والأدب: ويروى أن عبد الرحمن بن ملجم بات تلك الليلة عند الأشعث بن قيس بن معدي كرب، وأن حجر بن عدي سمع الأشعث يقول له: فَضَحَكَ الصُّبْحُ، فلما قالوا: قُتِلَ أمير المؤمنين، قال حجر بن عدي للأشعث: أَنْتَ قَتَلْتَه يا أعور، ويروى أن الذي سمع ذاك أخو الأشعث، عفيف بن قيس، وأنه قال لأخيه: عن أمرك كان هذا يا أعور.

قال في الكامل في التاريخ: وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مُلْجَمٍ عَلِيًّا عليه السلام قَالَ: (لَا يَفُوتَنَّكُمُ الرَّجُلُ). فَشَدَّ النَّاسُ عَلَيْهِ فَأَخَذُوهُ، وَتَأَخَّرَ عَلِيٌّ وَقَدِمَ جَعْدَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهِ أُمِّ هَانِئٍ، يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْغَدَاةَ، وَقَالَ عَلِيٌّ:

(أَحْضِرُوا الرَّجُلَ عِنْدِي)، فَأُدْخِلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: (أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ! أَلَمْ أُحْسِنْ إِلَيْكَ؟) قَالَ: بَلَى. قَالَ: (فَمَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟) قَالَ: شَحَذْتُهُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا وَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَقْتُلَ بِهِ شَرَّ خَلْقِهِ. فَقَالَ عَلِيٌّ: (لَا أَرَاكَ إِلَّا مَقْتُولًا بِهِ، وَلَا أَرَاكَ إِلَّا مِنْ شَرِّ خَلْقِ اللَّهِ). ثُمَّ قَالَ: (النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، إِنْ هَلَكْتُ فَاقْتُلُوهُ كَمَا قَتَلَنِي، وَإِنْ بَقِيتُ رَأَيْتُ فِيهِ رَأْيِي، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، تَقُولُونَ قَدْ قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا لَا يُقْتَلَنَّ إِلَّا قَاتِلِي، انْظُرْ يَا حَسَنُ: إِنْ أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِي هَذِهِ، فَاضْرِبْهُ ضَرْبَةً، وَلَا تُمَثِّلَنَّ بِالرَّجُلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: ((إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ)).

هَذَا كُلُّهُ وَابْنُ مُلْجَمٍ مَكْتُوفٌ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ كُلْثُومٍ ابْنَةُ عَلِيٍّ: أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ! لَا بَأْسَ عَلَى أَبِي، وَاللَّهُ مُخْزِيكَ! قَالَ: فَعَلَى مَنْ تَبْكِينَ؟ وَاللَّهِ إِنَّ سَيْفِي اشْتَرَيْتُهُ بِأَلْفٍ، وَسَمَّمْتُهُ بِأَلْفٍ، وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الضَّرْبَةُ بِأَهْلِ مِصْرٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

قال في **الطبقات:** وَبَعَثَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ ابْنَهُ قَيْسَ بْنَ الْأَشْعَثِ صَبِيحَةَ ضَرْبِ عَلِيٍّ عليه السلام، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، انْظُرْ كَيْفَ أَصْبَحَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: رَأَيْتُ عَيْنَيْهِ دَاخِلَتَيْنِ فِي رَأْسِهِ، فَقَالَ الْأَشْعَثُ: عَيْنَيْ دَمِيغٍ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ.

وفي الاستيعاب: عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: جُمِعَ الأَطِبَّاءُ لِعَلِيٍّ عليه السلام يَوْمَ جُرِحَ، وَكَانَ أَبْصَرُهُمْ بِالطِّبِّ أَثِيرُ بْنُ عَمْرٍو السَّكُونِيُّ، فَأَخَذَ أَثِيرُ رِئَةَ شَاةٍ حَارَّةٍ، فَتَتَبَّعَ عِرْقًا مِنْهَا، فَاسْتَخْرَجَهُ فَأَدْخَلَهُ فِي جِرَاحَةِ عَلِيٍّ، ثُمَّ نَفَخَ الْعِرْقَ فَاسْتَخْرَجَهُ، فَإِذَا عَلَيْهِ بَيَاضُ الدِّمَاغِ، وَإِذَا الضَّرْبَةُ قَدْ وَصَلَتْ إِلَى أُمِّ رَأْسِهِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اعْهَدْ عَهْدَكَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ.اهـ

أيها الإخوة نقف الآن أمام هذا الموقف الذي تخرس له الألسنة، وتذرف الدموع، وتتقطع القلوب، أمام خسارة الإسلام والإنسانية لهذا الجبل الأشم، والبحر الخضم، وهو يفارقنا ويجودُ بِنَفْسِه بين أيدينا، ولكن هناك أهم مِنْ موقف الفراق، هناك موقفٌ رائعٌ من مواقف أمير المؤمنين -مع أن كل مواقفه رائعة- ولكن لهذا الموقف خصوصيته، فما أروع الثبات وأنت في وسط أمواج المحنة!! وما أعظم الصبر في أَحْلَكِ الظروف وأصعب المواقف!! فكيف بِصَبْرِ أمير المؤمنين عليه السلام وهو مضروب على رأسه المكشوف أمام سيف عدو الله ابن ملجم الذي اشتراه بألف وسمه بألف، ومع ذلك نراه يقف هذا الموقف الذي يُحَيِّرُ الألباب شجاعةً وعزيمةً وثقةً بربه، وإبرازاً لما يشغل باله.

فهل يا تُرَى سنراه يوصي بقسمة أمواله وعقاراته؟ أم سيوصي بأن يتنبه أولاده إلى جمع الدنيا وحطامها؟ أم سيوصي بتأمين مستقبل أولاده وبناته؟!!

هل سنراه يضطرب ويجزع، وتخار قواه ويتضعضع؟ أم سنراه يلقي وصيته وكأنه في نزهة غير آبهٍ بالضربة؟ ولم يُغَيِّرْه هول الموقف والحادثة؟ وكيف ستكون هذه الوصية يا تُرَى؟

فتعالوا لننظر ما الذي رسمه لأولاده وأحفاده وأحبابه وأتباعه، وما الذي يريده منهم؛ فَلْنَعِشْ لحظاتٍ كلها إجلال وإكبار، ولْنُقْبِل على وصيته بوعي وبصيرة وتأمل؛ لتنفعنا في الدنيا والآخرة.

قال عليه السلام موصياً للحسن والحسين عليهما السلام كما في نهج البلاغة: أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللهِ، وَأَنْ لاَ تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا، وَلاَ تَأْسَفَا عَلَى شَيْء مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا، وَقُولاَ بِالْحَقِّ، وَاعْمَلاَ لِلأَجْرِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً،

وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً. أُوصِيكُمَا وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي، بِتَقْوَى اللهِ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلاَحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: ((صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاَةِ الصِّيَامِ)). اللهَ اللهَ فِي الأَيْتَامِ، فَلاَ تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلاَ يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ. وَاللهَ اللهَ فِي جِيرَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ. وَاللهَ اللهَ فِي الْقُرْآنِ، لاَ يَسْبِقْكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ. وَاللهَ اللهَ فِي الصَّلاَةِ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ. وَاللهَ اللهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ، لاَ تُخْلُوهُ مَا بَقِيتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا. وَاللهَ اللهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ. وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ. لاَ تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ أَشْرَارُكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ.

تاريخ استشهاده وصفته وبعض ما قيل فيه من أشعار:

توفي ولي المؤمنين وإمامهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لإحدى وعشرين ليلة من شهر رمضان، بعد أن ضربه أشقى الآخرين ابن ملجم لعنه الله يوم الجمعة ثامن عشر شهر رمضان، لأربعين من الهجرة. **قبره**: في المشهد المقدس بالكوفة. **عمره**: كعمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثلاث وستون سنة، قال عبد المجيد بن عبدون في بسامته:

وأَجْزَرَتْ سيفَ أشقاها أبا حسنٍ — وَأَمْكَنَتْ مِنْ حُسَيْنٍ رَاحَتَي شَمِرِ
وَلَيْتَهـا إِذْ فَـدَتْ عَمْـراً بِخَارِجَـةٍ — فَدَتْ عَلِيّاً بِمَنْ شَاءَتْ مِنَ الْبَشَـرِ

صفته عليه السلام: أَنَّهُ كَانَ ربعة من الرجال إِلَى القصر مَا هُوَ، أدعج العينين، حسن الوجه، كأنه القمر ليلة البدر حسناً، ضخم البطن، عريض المنكبين، شثن الكفين أغيد، كأن عنقه إبريق فضةٍ، أصلع ليس فِي رأسه

شعر إلا من خلفه، كبير اللحية، لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري، لا يتبين عضده من ساعده، قد أدمجت إدماجا، إذا مشى تكفأ، وإذا أمسك بذراع رجل أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس، وَهُوَ إِلَى السمن مَا هُوَ، شديد الساعد واليد، وإذا مشى للحرب هرول، ثبت الجنان، قوي شجاع، مَنْصُور على من لاقاه.

مما قيل فيه من الشعر:

فمن ذلك ما أورده في الاستيعاب وغيره من قصيدة أبي الأسود الدؤلي -وأكثرهم يرويها لأم الهيثم بِنْت العريان النخعية، وبعضهم لغيرهما- أولها:

ألا يَا عين ويحك أسعدينا ... ألا تبكي أمير المؤمنينا
تُبَكِّي أمُّ كلثومٍ عَلَيْهِ ... بِعَبْرَتِهَا وقد رأت اليقينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا ... فلا قرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ... وذَلَّلَهَا ومن ركب السَّفِيْنَا
ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثاني والمئينا
فكل مناقب الخيرات فِيهِ ... وحب رسول رب العالمينا
لقد علمت قريش حيث كانت ... بأنك خيرها حسباً ودينا
إذا استَقْبَلْتَ وجهَ أَبِي حُسينٍ ... رأيت البدر فوق الناظرينا
وكنا قَبْلَ مقتله بخيرٍ ... نرى مولى رَسُول اللَّهِ فينا
يُقِيْمُ الحقَّ لا يرتابُ فِيهِ ... ويعدل فِي الْعِدَا والأقربينا
وليس بكاتمٍ عِلْماً لديه ... ولم يُخْلَق من المتجبرينا
كأنّ الناس إذ فقدوا عليّاً ... نَعَامٌ حَارَ فِي بلد سنينا

فلا تشمت مُعَاوِيَة بْن صخرٍ فإنّ بَقِيَّةَ الخلفاء فينا

وقال الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب:

مَا كنت أحسب أن الأمر منصرفٌ عن هاشمٍ ثُمَّ منها عَنْ أَبِي الْحَسَنْ
أليس أول من صَلَّىٰ لقبلتكم وأعلم الناس بالقرآن والسننْ

وزاد أبو الفتح:

وآخر الناس عهداً بالنبي ومَنْ جبريل عَوْنٌ لَهُ فِي الغسل والكفنْ
من فِيهِ مَا فيهم لا تَمْتَرُنّ بِهِ وليس فِي القوم مَا فِيهِ من الْحَسَنْ

وقال إِسْمَاعِيل الحميري:

سائل قريشاً بِهِ إن كنت ذا عَمَهٍ من كَانَ أثبتها فِي الدين أوتادا
مَنْ كَانَ أقدم إسلاماً وأكثرها علماً وأطهرها أهلاً وأولادا
مَنْ وَحَّدَ اللهَ إذ كانت مُكَذِّبةً تدعو مع الله أوثاناً وأندادا
من كَانَ يقدم فِي الهيجاءِ إنْ نكلوا عنها وإنْ يبخلوا فِي أَزْمَةٍ جَادا
من كَانَ أعدلها حكماً وأبسطها علماً وأصدقها وعداً وإيعادا
إنْ يصدقوك فلن يَعْدُوا أَبَا حسنٍ إنْ أنت لم تَلْقَ للأبرار حُسّادا
إن أنت لم تلق أقواماً ذوي صَلَفٍ وذا عنادٍ لحق الله جُحّادا

وقال بَكْر بْن حَمَّاد التَّاهَرْتِيّ معارضاً لعمران بن حطان الخارجي لما قال:

يا ضربةً من تقيٍّ ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً

..إلى آخر القصيدة، فأجابه بقوله: [أوردها في الاستيعاب والكامل وغيرهما]

قُلْ لِابْنِ مُلْجَمَ وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ هَدَمْتَ لِلدِّينِ وَالْإِسْلَامِ أَرْكَانَا
قَتَلْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ قَدَمٍ وَأَعْظَمَ النَّاسِ إِسْلَامًا وَإِيمَانَا
وَأَعْلَمَ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ ثُمَّ بِمَا سَنَّ الرَّسُولُ لَنَا شَرْعًا وَتِبْيَانَا

صِـــهْرَ النَّبِـــيِّ وَمَـــوْلاَهُ وَنَـــاصِرَهُ — أَضْـــحَتْ مَنَاقِبُـــهُ نُـــورًا وَبُرْهَانَـــا
وَكَانَ مِنْهُ عَلَى رُغْـمِ الْحَسُـودِ لَـهُ — مَكَانُ هَارُونَ مِنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَا
ذكَـرتُ قَاتِلَـهُ وَالـدَّمْعُ مُنْحَـدِرٌ — فَقُلْتُ سُبْحَانَ رَبِّ الْعَرْشِ سُبْحَانَا
إِنِّي لَأَحْسَـبُهُ مَـا كَـانَ مِـنْ إِنْـسٍ — كَـلَّا وَلَكِنَّـهُ قَـدْ كَـانَ شَـيْطَانَا
قَـدْ كَـانَ يُخْـبِرُهُمْ هَـذَا بِمَقْتَلِـهِ — قَبْـلَ الْمَنِيَّـةِ أَزْمَانًـا فَأَزْمَانَـا
فَـلَا عَفَـا اللَّـهُ عَنْـهُ سُـوءَ فَعْلَتِـهِ — وَلَا سَقَى قَبْرَ عِمْرَانَ بْـنِ حِطَّانَـا
يَا ضَرْبَـةً مِـنْ شَـقِيٍّ مَـا أَرَادَ بِهَـا — إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْـوَانَا
بَلْ ضَرْبَةٌ مِنْ غَوِيٍّ أَوْرَدَتْهُ لَظًـى — وَسَوْفَ يَلْقَى بِهَا الرَّحْمَنَ غَضْـبَانَا
كَأَنَّـهُ لَمْ يُـرِدْ قَصْـدًا بِضَـرْبَتِهِ — إِلَّا لِيَصْـلَى عَـذَابَ الْخُلْـدِ نِيرَانَـا

والحمد لله أولاً وأخيراً، وصلى الله على سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله الهداة وسلم تسليماً كثيراً، والسلام عليك يا أمير المؤمنين يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حياً.

الفهرس